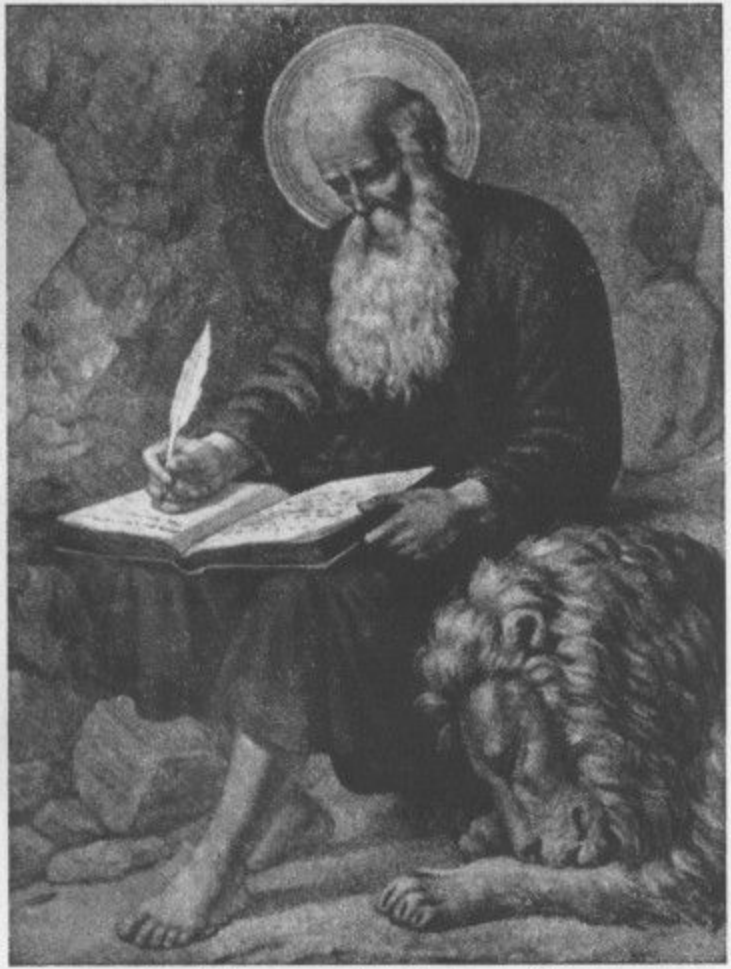

الشهيد العظيم مار مرقس الانجيلى

مطبعة المجد ـ ٤٩ نحرم بك ـ ت ٣٧٢٥

قداسة البابا كيرلس السادس

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

سلسلة الدراسات القبطية

- ٩ -

Φнєσ Uакарі

πшартурос

القديس مكاريوس

الشهيد

يوسف حبيب

مريذ عبد المسيح ميخائيل

مقدمة

. . . نكمل رحلتنا فى طريق الجلجثة حاملين الصليب لأننا كنا من قبل مع يسوع فى آلامه المحيية والكنيسة فى عذاباتها والآن تعالوا نتأمل :

أولا : موكب الاستشهاد

هو موكب جيش الله المنتصر مشتمل بمجد الرب الذى يظهره فى ضعف عبيده . فما الشهداء إلا تلك الأوانى الخزفية التى كسرت أيام جدعون فى القديم لكى تعلن النصرة وفضل القوة ومجد الرب فى كنيسته (قض ٧ : ٢٠) .

هؤلاء الشهداء هم نفوس انسحقت من أجل محبة الرب وكنيسته ومن أجل الحياة الأبدية وجمالها ونحن من ورائهم نهتف بيوق النصرة لأن (لنا هذا الكنز فى أوانى خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا) (٢ كو ٤ : ٧) .

وما دام هذا الضعف يخفى وراءه قوة ومجد الرب ، لذلك تقدم هؤلاء إلى الموت ، وكان لسان حالهم ينطق بجمال الكرازة (نشتم

فنبارك ، نضطهد فنحتمل ، يفترى علينا فنعظ (١ كو ٤ : ١٢) . فلم يتذمروا قط ، بل بالحرى فرحوا لأنهم حسبوا أهلا أن يهانوا من أجل اسم المسيح .

ثانيا : كنيسة الشهداء

هى هذه المدرسة التى تخرج فيها فى مدة تسع سنوات ما يربو على ٨٠٠,٠٠٠ شهيد حتى أننا بحق ينبغى أن نسمى أول هذه السنة اليوم الجديد (النيروز) .

يتعجب الكثيرون من بقاء الكنيسة القبطية إلى الآن رغم ما مر عليها من أهوال واضطهادات مريرة ! ولكن ما ذلك إلا لأنها كنيسة شهداء ، والرب فى وسطها وهو الذى خرج غالبا ولكى يغلب. اننا لم نكن متعصبين ان كنا ننسب لكنيستنا القبطية هذا المجد ، وما ذلك إلا لأنها أكبر كنيسة تحملت الآلام من أجل يسوع ، فثقل مجدها يرجع إلى شدة آلامها وضيقاتها .

حقا — إنها الكنيسة التى تبعت يسوع فى طريق الجلجثة حتى إلى الصليب !

ولكن ما سر قوة كنيستنا ؟ للإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى

أن نناقش :

(١) فترات الاستشهـــاد

هى فترات قوية فى الكنيسة ـ ولا عجب فى ذلك فسر القوة فى حياتنا كثيراً ما يرجع إلى معرفة ضعفاتنا ، ولولا فترات الضعف التى يسمح الله بها لقديسيه لكى يجوزوها لما تقوى إيمانهم ـ أو لكان فضل القوة منهم لا من الله ـ لذلك ترك بولس فى ضعف ليبدلى من الكوة فى زنبيل ليهرب (أع ٩ : ٢٥) ، والتلاميذ سمح الرب لهم بأن يتشتتوا من جراء الضيق حتى يمتلئوا بالقوة .. الخ) اع ١١ : ١٩

وقد يسمح لنا الرب بهذه الفترات لكى يستخدمها لتقوية إيماننا لعلنا نصرخ إلى إلهنا فنتعلم قوة الصـــلاة أو لكى نختبر قوة إلهنا وأعمـــاله العجيبة فى قديسيه المتكلين عليه ... فلماذا نشك فى إلهنا وهو القائل « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » ؟

أو لا نترك الفرصة لإبليس لكى يستغل فترة شعورنا بضعفنا وآلامنا أو فى اضطهاداتنا ... لكى يجعلنا نكسل ونتمم بالأكثر أو نتذمر وندين فنخطىء أو نهتم بإصلاح غيرنا دون ذواتنا !.

لكن هؤلاء الشهداء طالما أحسوا باضطهاد يلحق بإيمانهم ويهدد

حياتهم الأبدية ، قاموا لا لكى يدافعوا عن أنفسهم بل عن إيمانهم . ولم يستعملوا وسائل العالم فى الدفاع عنه بل أسلحة البر والمواهب ، ولما خشوا أن تهلك نفوسهم قدموا ذواتهم لكى يربحوا الحياة الأبدية.

(٢) قوة الشهادة ليسوع :

تحتاج الشهادة إلى قوة وهذه القوة هى التى أخذتها الكنيسة فى علية صهيون (اع ١ : ٨ ، لو ٢٤ : ٤٠) وهى القوة عينها التى ينالها كل مؤمن حينما يولد فى كنيسة المسيح من الماء والروح .

وبهذه القوة أيضا استطاع الشهداء أن يدافعوا عن إيماننا الحى ، وأن يقدموا ذواتهم بالتضحية لأجل وفرة حبهم ليسوع أكثر من محبتهم لهذا العالم ولذلك أحبوا أعداءهم !

سر قوة هؤلاء أن إيمانهم كان إيمانا عمليا فلا وجود لإيمان غير عامل فى كنيسة المسيح القوية .

ونحن لماذا لم نستطع ان نشهد ليسوع ؟!

إن صوت الرب يوبخنـــا قائلا : إلى متى أكون معكم إلى متى احتملكم ؟ فهـــل نريد أن يرجع يسوع ثانية إلى العالم لكى يتألم ويشهد للعالم بآلامه ـ أفلا نكمل نقائص شدائد المسيح فى جسده ؟

لماذا لا نحب أن نتألم من أجل يسوع أو أن نتعب ونجاهد لأجل الايمان باسمه ولأجل الحياة الأبدية ؟ !

يعز علينا ان لا نحب هذا العالم لأننا مربوطين به ! وحين نسمع أخباراً عمن تركوا العالم نحزن ونخـــاف ونرتعب لئلا نترك نحن ! يا للأسف ! إننا ربما ظننا انه ليس لنا رجاء إلا فى العالم فلا يهون علينا التضحية به أو أننا لم نتأكد أن لنا حياة أبدية إلى الآن لأننا لم ننظر اليها . لم نوجه كامل حبنا نحوها ـ لم نكنز شيئاهناك ـ لم نتعب لأجل ما هو فوق ولم نعمل مشيئته هناك ، ولم نترك لأجل ما هو فوق ... لذلك فالنتيجة الحتمية أنه ليس لنا رجاء فوق ؟ !!!

أول توت سنة ١٦٨٠ ش
١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م

مريد عبد المسيح

الفصل الأول

حياته الأولى وعائلته

سيرة حيـــاة أبينا القديس الشهيد
مكاريوس بن باسيليدس الوزير ، عاش
فى القرن الرابع الميلادى وكان أيام اضطهاد
دقلديانوس ، ولما عرضت عليه أوامر
الملك القاضية بعبادة الأوثان رفضها .

عائلة القديس

عائلة الشهداء العظـــام باسيليدس(١) ويوسابيوس وبقطر بن رومانوس وتادرس المشرق وأبادير وايرينى ويسطس بن نوماريوس وثاوكليا وأبالى وأقلاديوس . . .

وقد كان أبوه باسيليدس وزيراً لنوماريوس قيصر . ولما

(١) أحد مشاهير وزراء الامبراطور نومريان وكان نائبه فى غيابه ، ويقال أنه هو الذى قبض على ثيقوديموس بن ملك الفرس ولكنه تمرد على دقلديانوس الكافر فنفاه مع بعض افراد عائلته إلى مصر حيث استشهد ، وتعيد له الكنيسة فى ١١ توت .

قتل نوماريوس فى حرب مع الفرس سنة ٢٨٥م وأقيم دقلديانوس أحد قواده قيصراً كفر بالإله الحقيق وعبد الأوثان . لذلك اعتزل باسيليدس خدمته حتى بعد أن عاد يسطس بن نوماريوس للمقتول مع اوسابيوس بن باسيليدس وحاولا مع آخرين أن يقتلوا دقلديانوس لكى يقيموا يسطس القيصر الشرعى وخاصة بعد أن علموا بارتداد دقلديانوس منهم باسيليدس من عزمهم ثم جمع أقرباءه (وهم أبناء مكاريوس صاحب هذه السيرة واوسابيوس ، وزوجة باسيليدس خالة القديس بقطر وباتريكا أخت باسيليدس وأم تادرس المشرق وزوجة يوحنـــا الشطبى ، وأبادير وايرينى أخوة تادرس المشرق ويسطس بن نوماريوس وزوجة ثاوكليا وابنه ابالى واقلاديوس ابن أخيه (١) وقال لهم كلاما كثيراً . . . . إننى اشتهى أن أموت على اسم المسيح . . ان هناك دافعا خفيا فى نفسى يدعونى إلى أن أقدم ذاتى لكى أتقدم الطريق أمامكم . . . .

وقد أثر كلامه هذا على عائلته وعلى كثير من جنوده أيضا فالتهبت نفوسهم واشتاقوا إلى الاستشهاد وقاموا جميعا بنفس واحدة

(١) هؤلاء القديسين تذكر اسماؤهم فى بجمع تسبحة باكر بالكنائس

وتقدموا إلى دقلديانوس وأعلموه بذلك .

أما دقلديانوس الذى فوجىء بهذا الأمر فقد خاف واضطرب فى أول أمره خصوصا من ارتجاج المملكة ، ولكن رومانوس أبا بقطر الذى كان وثنيا وكارها للمسيحيين أشار عليه بنفيهم من انطاكيه إلى مصر حتى يتخلص منهم خاصة وان دقلديانوس كان من نفس العائلة (١).

تفرق العائلة واستشهادها

قد تكلمنا عن ارتداد دقلديانوس واضطهاده للكنيسة (٢) وقد كان أشد اضطهاد عرفته كنيسة المسيح وكان هذا الاضطهاد فى أواخر أيام دقلديانوس أى فى أوائل القرن الرابع تقريبا - وقد بدأ فى الواقع منذ ان اضطهد دقلديانوس عائلته فى أوائل سنى ملكه .

وقد كان فى بداية حياته ميالا للمسيحية لكن أثر عليه وزيره

(١) كان باسيليدس اخو امرأة دقلديانوس (د. اوليرى ص ٣٥) وذكر ايضا (د اوليرى) ان يسطس كان عم كل من اوسابيوس ومكاريوس ص ١٧٥

(٢) انظر ذلك فى كتاب القديس ابيا

رومانوس وغرور الملك لكى يبدد عائلته فيستشهدوا بعيداً عنه وكأنه برىء منهم ، لذلك أرسلهم إلى الاسكندرية لكى يستشهدوا على يد واليها ، وكانت مشورة رومانوس بالنسبة لعائلة دقلديانوس أن يشتتهم فنفاهم أفراداً فبعث بالبعض منهم إلى الاسكندرية والبعض الآخر إلى انصنا (١) التى اشتهر واليها بتعذيبه للشهداء وخاصة من استشكل أمره على بقية الولاة .

(١) انصنا مدينة كبيرة واسقفية عظيمة كانت تقع مكان قرية الشيخ عباده بمركز ملوى . ظلت اسقفيتها إلى منتصف القرن الرابع عشر ثم تخربت عن آخرها أيام صلاح الدين الايوبى ، وتمتاز بأنها مدينة استشهاد مشاهير القديسين أمثال أبادير وابربى اخته ويسطس ابن نوماربوس وبقطر واباهـــور وجورجيوس الاسكندرى كما استشهد اريانوس واليها نفسه ، وقد كان بها اثنا عشر ديراً للراهبات وعاش خارجها حوالى الف ومائتى راهب ، وقد زارها بلاديوس المؤرخ ما بين سنة ٤٠٦ - ٤١٢م .

الفصل الثانى

القديس مكاريوس

الشهيـــــد

اضطهاد القديس

أما مكاريوس صاحب هذه السيرة فقد كان شـــابا شهما ثاقب النظر شجاعا وكان دقلديانوس يحبه لحاول أن يستميله وخاصة وهو بن وزيره وقريبه وكان شابا فى ريعان شبابه ، لكنه لم يعلم أنه كان أمام نفس انسكبت فيها محبـــة للمسيح بغزارة فلم تعد قوة على الأرض تستطيع ان تستميلها .

لذلك ترك مكاريوس القصر ومغريات دقلديانوس لكى يهرب من أمامه ، فلما استدعاه دقلديانوس مرة ثانية وهو غاضب عليه لعصيانه أراد أن يستبعده فأرسل فى طلب بعض الجنود لكى يمضوا به إلى الاسكندرية لكى يقتل هناك لأنه رفض أوامر دقلديانوس ولم يجاره فى شروره .

وأما مكاريوس فطلب أن يتقابل مع أمه لكى يودعها قبلما يغادر

انطاكيه وهو غير متذمر لانه كان يعلم أنه سيقدم ذاته ذبيحة للمسيح فلما قابلها طيب نفسها وأوصاها بالفقراء والمساكين الذين كان يعولهم ... فقالت له أمه : « إلى اين أنت ذاهب يا ابنى تاركا أمك فقد كنت أرى فيك صورة المسيح لتعزينى ... » قال لها : « ... لا تحزنى يا أماه فاننا سوف لا نتقابل على هذه الأرض ثانية بل سوف نتقابل على أرض جديدة وأنت أيضا يا أمى سوف تتبعيننى فيما بعد » ثم تعانقا عناق المحبة المقدسة وكانا يتبادلان الدموع

نفى القديس

حمل الجنود القديس إلى الاسكندرية وهناك رست السفينة على الشاطىء وظل هناك فى الحبس إلى حين .

• • •

هنا ابتدأت المخطوطة باللغة القبطية تحكى قصة هذا الشهيد فقالت (١) :

ان القديس مكاريوس ظل موجوداً فى السجن وكان يصلى إلى الله ليلا ونهاراً وكان يقول من كل قلبه « يا سيدى يسوع المسيح الملك الحقيق لا تبعد عنى ولكن كن معى أنا عبدك وأنت تعلم يا سيدى انى لا أشتاق إلى أمجاد هذا العالم ، فاقبلنى ان اردت فى ملكوتك السمائى .

ولما علم حاكم الاسكندرية بقصة القديس أمر أن يحضروه أمامه .

قوة القديس ووداعته

لما مثل القديس أمام أرمانيوس الحاكم الذى كان يعرف عائلته أراد أن يتجاهله فقال له : « ... ما الذى صنعته حتى أحضروك أمامى أيها الشقى ، اخبرنى بالحقيقة قبل أن أعذبك وتموت فى يدى ، بمن تؤمن ؟ هل رذلت آلهة الملك ! ؟ أو ماذا ! »

أما القديس الذى لم يكن يفكر فى شىء غير محبة المسيح فكان صامتا ... وكأنه كان مغرقا فى التأمل فى أمر ما حتى أن الوالى صرخ فى وجهه « لماذا لا تضحى للآلهة ؟ ، يبدو أنك اتبعت تعاليم المسيح ، لكى اشفق على شبابك ، تعال وقدم الآن التضحية لآلهة الملك وأنا سوف أرسل رسالة لكى يصفح عنك ... ثم قال له الوالى : انك شاب ولم تختبر بعد قوة الآلام فارجع عن رأيك

(١) المخطوطة باللغة القبطية نشرها العلامة الكسيس مالون وهى ناقصة

لئلا تندم .

أما القديس الذى لم يكن يريد أن يتكلم تقوى بالروح القدس وقال له : « لماذا تتبع هذه الضلالات أيها الوالى وإلى متى تظلون على عبادة الأوثان مع انكم تشكون فيها وتعرفون انها غير حقيقية وليست آلهة ، وتخدعون ذواتكم من أجل الملك الأرضى ولا تكتفون بهذا بل تضطهدون أصحاب الديانة الحقيقيـــة ، وتصبون جامات غضبكم على المسيحيين الابرار . . . ؟ ألا تخبرنى أنت أيها الوالى لماذا تدافع عن آلهة الملك ؟ . . أما الوالى الذى لم يعرف بماذا يجيبه ، وقد جعلته هذه الكلمات فى ارتباك فقد دعا القديس لكى يقترب اليه وقال له : من هو الذى علمك هذه الجرأة حتى تقول مثل هذا الكلام ؟ وهل أحضروك إلى هذا المكان لكى تتكلم كلاما كثيراً كهذا ؟ - إن أمراً رئيسيا واحداً هو الذى أطلبه منك هو أن تضحى لآلهة الملك لكى نطلقك بعيداً عنا . أجابه القديس بأن هذه الجرأة ينبغى أن تكون فى كل من يعرف الحق وأردف قائلا : وا عجباً لك أيها الوالى فأنت تعلم لماذا أتوا بى إلى هنا ، لأنه ان كنت أريد ان اضحى للآلهة فلماذا اتوا بى اليك ؟

عذابات القـــديس

كان لهذه الكلمات التى تكلم بها القديس أثر كبير على الحاضرين فكلمات المحبة التى كانت تنساب من فمـــه كانت تجذب الكثيرين ، فضلا عن أن منظره السماوى كان يسبى القلوب ، لذلك لم يرد الوالى أن يتأخر عن التخلص منه ، فأمر بأن يقيدوه لكى يعذب فقطعوا أصابع القديس ووضعوا عليها خلا وأمر الوالى أن يضعوا مسامير من حديد متوهجة بالنار ويدحرجوه عليها ، ولم يكتف بهذا أيضا بل صب فوق رأسه قاراً مغليا . . .

والقديس الشاب لم يستطع أن يحتمل كل هذا فغشى عليه وظل على هذه الحالة مدة طويلة حتى تركه المعذبون .

تعزيات الله للقديس

بعد هذه الفترة وجد القديس معافى ولم نعلم بالتحقيق ما حدث للقديس فربما كان قد فارق الحياة على حد قول بعض المؤرخين(١)

(١) المخطوطة القبطية

وان مراجع أخرى (١) تقول ان القديس كان يبدو على وجهه انه رأى أموراً عجيبة ، ولما تقدم اليه أحد أقاربه موبخا إياه وقائلا له : تعقل لأن الحاكم قريبنا فدعنا نسعى لكى ينجيك من الموت اجابه القديس - مسكين انت يا أخى لأنك لم تعلم . . . !

وابتدأ يحكى له هذه القصة :

انه أثناء تعذيبي لم استطع ان احتمل فصرخت من قلبي وقلت أيها الرب إلهى ، يا من قلت ان نيرك هين وحملك خفيف كيف يكون هذا بدون معونتك ؟ وكانت نفسى تئن فى ، واخيراً لم احتمل ولست اعلم هل نفسى قد فارقت جسدى(٢) ! فرأيت سيدى يسوع المسيح ذاته واقفا أمامى وكل القديسين حوله وكان كل منهم يعزينى ويشجع نفسى وقد رأيت منهم شابا تقدم الموكب وجاء نحوى وقال لى حسنا يا اخى مكاريوس ألم تعلم انى انا ايضا قتلت بالعنف مثل اخى وقد انتزعت ايضا من ابى وامى ، ولكن هذا السيد الحبيب لم ينسانى فقد فتح لى ابواب الفردوس . . وكان كثير من القديسين يعانقونى وأخيراً لم أدر بشيء سوى انى وقفت معافى من كل آلامى وهذا هو الدليل على صدق كلامى .

(١) سنكسار رينيه باسيه واوليرى (٢) ٢ كو ١٢ : ٢

معجزات القديس

جاءوا (١) بالقديس ثانية أمام ارمانيوس وقال الوالى لجنوده أين هو صاحب الكلمات القوية ؟! فقالوا له ها هو ، فتعجب الوالى من سلامته وأمر ان يحضروا له سيخين من حديد محميين بالنار ويوضعا فى حنجرته ، أما القديس فرفع قلبه بالصلاة وصلى هكذا قائلا : « ايها الرب يسوع الهى الذى احبنى ومات من أجل خلاصى على خشبة الصليب ، كن لى عونا ولا تسلمنى إلى ايدى الذين يضطهدونى لأنه خير لى ان اعذب بهذه النار الضعيفة من ان اتركك واطرح فى النار الأبدية ، ولكن كما يقول رسولك ان خفة ضيقتنا الأرضية تنشيء لنا اكثر فأكثر ثقل مجد ابدى .

اما الوالى الذى اراد ان يرسله إلى انصنا لأنه كان يريد الاحداث شغب اكثر بسببه ، ارجع القديس إلى مدينة بشاتى ، وفى الطريق

(١) ذكرت المخطوطة باللغة القبطية ان القديس لما غشى عليه حمله الجنود وطرحوه خارج مدينة بشاتى - (وهى مدينة عظيمة على بعد ميل من فرع شطانوف الشرقى وقد كانت عاصمة لكل مصر السفلى .

إصطدم احد الجنود بمركبة الوالى لأنه كان مسرعا فوقع لوقته وترضضت اعضاؤه وفارق الحياة ، وقد حزن الوالى عليه لأنه كان من جنوده الأوفياء وامر ان يوقف الركب قليلا ومن كثرة ما له عليه قال ربما لأننا ظلمنا هذا القديس حدث ماحدث .

لكن القديس مكاريوس كان أشد ألما من الوالى على هذا الرجل وتقدم نحوه وهو يبكى (١) وكان يقول . « يارب يسوع لماذا أحزنت نفسى فى وقت ينبغى على فيه أن أفرح لأنى أقدم ذاتى لك . . . » (ويبدو أن الله أراد أن يعلن مجده فى تلك الساعة فلم يكن يعرف القديس أن آلامه هذه سوف تؤول إلى مجد الله) وشرع القديس يتقدم نحو الجندى المقتول وكانت دموعه تهطل حتى اندهش جميع الموجودين (لقد كان هذا الجندى مغتربا ومخربا وبالطبع عابداً للأوثان ، لذلك أحبه الوالى) ، ولكنهم لم يكونوا

(١) هذه هى عواطف القديسين الصادقة وبساطة محبتهم الخالية من الحقد وهذه المحبة تكون فى كل من ملأه روح الله لأنه حقا هو الشخص الذى يتساوى عنده الأعداء بالاحباء فهو ينفذ الوصية « أحبوا أعداءكم بدون تعب »

يعلمون ما سيفعله القديس .

يا لعمق غنى الله وصدق مواعيده ووفرة عطاياه ومواهب روحه القدوس التى يهطل بها على نفوس الذين يثقون به ولا يمنعها عن محبيه وشهدائه فقد تقدم هذا الشهيد الشاب نحو جثة الجندى وركع أمامها وكان يصلى من عمق القلب : « أيها الرب يسوع المسيح القدوس وحده والذى صنع العجائب والمعجزات وأقام الأموات أظهر أنت وحدك مجدك وترآى بقوتك لكى تخزى قوة هذا العالم آه ايها الرب إلهى انى لم أندفع من ذاتى ولكن دفعتنى محبتك العجيبة التى غمرت بها قلبى إلى أن أطلب من أجل هذا الميت لأنك أنت تريد أن تقيمه ولست أعلم السبب ؟! ربما لكى تخلص نفسه خلص يارب هذه النفس التى مت من أجلها » .

ولما أكمل صلاته وقف فترة كأنه مبهوتا من أمر ما ثم صرخ بعدها بصوت عظيم قائلا : باسم الآب والابن والروح القدس قم يا أخى قف » ، فانتعشت نفسه فيه وقام ، ولما نظر القديس مكاريوس ناداه باسمه ثم جاء نحوه يسجد أمامه ويقبله وهو يقول : « طوباك أيها القديس رجل الله لأنك خلصت نفسا خاطئة اليوم من الجحيم »

وكان الوالى والجنود فى حالة دهشة ولم يستطيعوا ان ينطقوا بكلمة فكانت هذه الحادثة كمثل الصدمة القوية بالنسبة لهم - وكان الجندى يتحدث وكأنه بدون وعى ، ومن لحظة لأخرى كان يتقدم ويقبل القديس حتى أن القديس قال له : لتهدأ نفسك يا أخى هلم أرو لنا قصتك ، ما الذى حدث لك ؟ ألم تعلم إننى أنا الشخص الذى كنت تضطهده منذ أيام - وبدأ الرجل يقص قصته :

لقد كان لى عدة أيام منذ أن حدثت لى الحادثة ، كنت أقاسى فيها آلاما لم أر لها مثيل كل أيام حياتى من قبل ، حقا ان كنت عابد وثن وكانت هذه الأوثان لى سبب عذاب فقد رأيت وجوهها المختلفة تروع نفسى لأنه قد ظهرت أمامى أشكال تنانين وأسود وتماسيح قد جاموا نحوى ونزعوا نفسى من جسدى فى قسوة عظيمة وطرحوها فى بحر كأنه من نار غطست فيه إلى أعماقه ، .. وبعد ذلك حملونى وأسرعوا بى إلى أماكن مظلمة ظلامها لا يوصف ، وكنت أتألم آلاما مبرحة . أخيراً طرحونى فى موضع يقال له الجحيم وإذ كانوا يسوقونى اليه سمعت صوتا (١) كأنه ملتحف برائحة زكية لما اشتممتها انتعشت نفسى وكان يقول (ينبغى أن يعود هذا الرجل إلى العالم من أجل صلوات القديس مكاريوس الانطاكى) ، ولم أدر بعد ذلك بشىء إلا وأنا واقف أمامك أيها الطوباوى .

وانى أسألك قبل كل شىء أن تصلى عنى إلى إلهك حتى تدركنى مراحمه فلا أحل ثانية إلى ذلك المكان الردىء ، وأن تصيرنى مسيحيا مثلك . . .

إيمان سكان مدينة بشاتى

لما سمع سكان مدينة بشاتى بهذا الخبر جاموا نحو الجندى لكى يسمعوا منه الأقوال التى نطق بها ، ولما تيقنوا صرخوا جميعا قائلين عظيم أنت يا إله الشهـــداء ، نحن نريد أن نؤمن بك - وجاموا إلى القديس مكاريوس قائلين نريد أن نكون مثلك . . .

ذكرت المخطوطة باللغة القبطية بعد ذلك ان الحاكم أمر أن يحضروا القديس ليجلدوه بلا شفقـــة أمام الجمع حتى يخافوا ولكن الجمع الكثير الذى آمن صرخ فى وجـــه الوالى وقال بصوت واحد « نحن مسيحيون » ، وكانوا يزدادون فى صراخهم حتى اضطرب الحاكم وأراد أن يستخدم العنف لكى يوقف اعترافهم ، فأمر جنوده

(١) يبدو انه صوت القديس مكاريوس الذى نادى به الرجل المقتول

بأن يقتلوا الجمع بلا شـــفقة ، ولكن نائب الحاكم قال له : « وماذا بعد أيها الوالى ؟ هل ستبيد المدينة كلها ؟ ! وتهلك كل نفوسها ؟ أن هذا الرجل مكاريوس قد استمال الشعب كله بطريقة لا نعلمها .

تبكيت الوالى للقديس

استدعى الوالى أرمانيوس القديس مكاريوس وأراد أن يؤنبه فقال له : هل يطيب قلبك أو تستريح نفسك إذ يموت هذا العدد الكبير بسببك ؟ أجابه القديس مكاريوس بقوة وقال له : « ولماذا أحزن وكيف لا تستريح نفسى وأنا موقن ان هذا الجمع كله ذاهب إلى مكان النياح الدائم والسعادة الأبدية ؟ !»

المسيح وبليمـــال :

وفى هذه الأثناء أراد أرمانيوس ان يقضى ليلة ممتعة فأرسل يستدعى المدعو « الإسكندر » رئيس معلمى السحر فى ذلك الوقت وكان القديس مودعا فى أعماق السجن يصلى وكأنه كان يستعد ويتملى لكى يقف أمام بليمال ! ـ ولما حضر الإسكندر قال له الوالى : ألا تعلم أنى استدعيتك لأمر هام ؟ هلم أبطل بأعمال سحرك قـــوة هذا المسيحى الذى أثار الشغب فى المدينة كلها ، فطلب الإسكندر ان

بأتوا بخنزير لكى يسلخوا جلده ويضعوه فوق القديس ليتلطخ رأسه بدم الخنزير ، لأنه بعد ذلك سوف يهزم . ثم أحضر الساحر بعض الأدوية لكى يركبها فى إناء واحضر ثعبانا ميتا وشق رأسه وأخذ بعضا من السم وصبه على المزيج . . وأخذ يتمتم بعض العبارات المفهومة ، وأخـــيراً قدم الاناء للوالى قائلا بهذا الدواء ننتصر على القديس ، فأحضروا القديس وأرغموه على تناول الكأس وقالوا له أرنا قوة إلهك لننظر هل يخلصك ! ! فلم يرد القديس فى بادىء الأمر ان يشرب لكنه رفع عينيه نحو السماء فرأى يسوع ابن الله مع ملائكته وإكليلا فى يده وهو يقول له : لا تخف فقد شربت قبلك الكأس ممزوجة بمرارة ولكن ثق أنا قد غلبت العالم وانت أيضا ستغلب » ، فطابت نفس القديس لما سمع هذا الكلام وشرب الكأس من يد الوالى باسم الثالوث الأقدس ولم يصبه شىء .

فلما رأى الوالى ذلك لم ينسبه إلى قوة إله القديس بل ظن أن الساحر قد خدعه فأمر للوقت أن يأخذوا الكأس من يد القديس ويعطوها للساحر لكى يشرب منها أيضا ، ولكن المفاجأة حدثت فما كاد الساحر يشرب قليلا حتى انشق من وسطه أمام الجمع كله وسقط ميتا ...

الفصل الثالث

حياة القديس الأخيرة

واستشهاده

زيارة والى أنصنـــا لأرمانيوس

حدث بعد هذه الأمور ان جاء إلى الاسكندرية مندوب الملك دقلديانوس ومعه منشورات جديدة وأمر أن يحضر اليه كل الحكام وصنع لهم أرمانيوس ضيافة كبيرة استمرت عدة أيام وكان من ضمن هؤلاء الولاة أريانوس والى أنصنا (١)

وفى هذا الوقت حضر اليه بعض الجنود يشكون من الشغب الذى حـــدث بسبب معجزات القديس فى السجن ، فأثار هذا غضب أرمانيوس حتى أنه من شـــدة غيظه لم يستطع أن يواصل مشاركة الولاة فى أفراحهم مما جعل أريانوس والى أنصنـــا يسأل . من هو هذا الرجل الذى أثار الشغب ؟

شهادة زور على القديس :

أراد أرمانيوس أن يستغل الفرصة لكى ينتقم من القديس فأرسل يستدعى بعض الجنود من حاشيته لكى يشهدوا زوراً على القديس ، وكان من جراء ذلك أن والى أنصنا اتفق مع أرمانيوس

(١) ذكرت المخطوطة أنه حاكم الصعيد

ان يأخذ القديس معه إلى أنصنا لكى يقتله هناك .

خطاب القديس الوداعى

أحضر القديس من السجن لكى يسألوه عن آخر طلبة له قبل أن يغادر الاسكندرية ويقتل هناك فقال لهم القديس ليس لى طلبة وحيدة سوى أن تتركونى أكلم إخوتى وأشار إلى الجمع بيده ، ولما اذن له وقف القديس وفتح فاه وقال : « يا إخوتى لتكن سيرتكم تعليما للمنافقين واشتهوا ان تحتملوا لأجل المسيح الظلم والخسارة والإهانة لأنى أنا أيضا لأجله لا أبالى بالموت وأفضل هذه الآلام على كنوز مصر ، وانى وأنا مقيد حبا فى المسيح كنت أرجو أن أكون معكم دائما لكى تتعزى سويا ولكن أخاف يا أحبائى لأنى محصور من الاثنين فأخشى ان تسبب لى محبتكم ضرراً لأنى اشتهى ان اصل سريعا إلى المنازل الأبدية ولو أن محبتكم تملأ قلبى ، لذلك أعرفكم أنى اشتهى الاستشهاد لكى أكون مسيحيا بالحق ، لأننا لو كنا ننتظر مجداً أرضيا لما كنا نمضى إلى الموت بسرور بل كنا نتكبر أننا مسيحيون ليقنا نتقابل جميعا أمام كرسى المسيح فى ملكوته . . . »

ولما انتهى من خطابه استدعاه أريانوس فوجد منه مشابرة

واحتمالا كثيرين وكان السلام والهدوء يملأن نفسه حتى لم يطق أرمانيوس أن يراه فطلب أن يمضوا به من امام وجهه .

رحيل القديس مع اريانوس

انطلق اريانوس إلى الوجه القبلى وفى الطريق تعطلت السفينة عند مدينة بشادى لأن الريح كانت مضادة فرسا هناك ، ولما علم افتخيانوس حاكم المدينة خرج للقاء اريانوس مع جمع كثير واضافه فى منزله لمدة ثلاثة ايام وبعد ذلك اكمل سفره إلى شطانوف وفى منتصف الليل بينما كان القديس يصلى والجنود نائمين ظهر له رئيس الملائكة ميخائيل وقال له لا تخف فما قريب سوف تنال اكليل جهادك فى هذا المكان وسوف تقام كنيسة على اسمك ايضا ، ولما بزغ نهار يوم ٢٢ أبيب الذى رست فيه السفينة على شطانوف قال له الوالى : « مع من كنت تتكلم الليلة الماضية لأنى رأيت ناراً تحيط بك ومن ساعتها لم استطع ان ارقد ساعة واحدة لعلهم أتوا اليك بخبز وخمر أكلت وشربت لأنى أرى وجهك مشرقا متهللا مثل انسان فرح القلب بخمر وعرس أجابه القديس ببشاشة : لتعلم ياسيدى الوالى انه اليوم الحادى والعشرين منذ تناولت آخر طعام ، ومنذ ذلك الوقت لم يدخل فمى

شيء وان إلهي الذي من اجله اضطهد ارسل ملاكه لكي يعزيني ويخبرني ان هذا هو مكان استشهادي ، ولاجل هذا انا متهلل ، فأجابه الوالي بتهكم سوف اكمل فرحك في هذا اليوم وامر رئيس الجلادين ان يأخذ رأس القديس ولما حملوه إلى الموضع كان يصلي ايها الرب يسوع اقبل روحي ، وفي هذه اللحظة ضرب الجلاد عنقه وكان ذلك في ٢٢ أبيب ، وتعيد له الكنيسة في ذلك اليوم . بركة صلواته تكون معنا ولربنا المجد دائما ابديا امين .

جسد القديس

اخذ المؤمنون الجسد وكفنوه ودفنوه شمالي شطانوف وكتب بوليوس الافقهسي سيرة هذا القديس .

بناء كنيسة على اسمه

في أيام قسطنطين الملك البار ظهر القديس مكاريوس في رؤيا إلى الأمير اولوجيوس واعلمه بمكان جسده فجمع رؤساء مدينة

شطانوف واستلم منهم عن قصة هذا القديس فساروا معه إلى مكان دفنه حيث قبله والقى عليه اطيابا ووعد أنه سيحمله إلى أنطاكيه ولكن بعد أيام ظهر له القديس للمرة الثانية بملابس بيضاء وطلب منه ألا ينقل جسده من هذا الموضع ، وفي الصباح أمر اولوجيوس لوقته ببناء كنيسة على اسم القديس .

إلى روح أبي القديس مرقس الرسول كاروز هذه الديار ...

اليك يا أول شهيد وأول بطارکة هذا الكرسي والتلميذ الذي استحق ان يظهر الايمان بالله الكلمة في هذه المدينة .

+ هو القديس مرقس أحد تلاميذ الرب السبعين اسمه الأول يوحنا يهودي الجنس وأمه مريم أخت برنابا من بلدة ادرنا بوليس (باخمس مدن الغربية)

+ التقى أول مرة بالرب في الهيكل أثناء طرده الباعة .

+ كان الرب يحبه وقد اختار منزله ليجتمع فيه مع تلاميذه ، وقد أكل فيه الفصح ليلة آلامه ، وفي هذه العلية ظهر الرب للتلاميذ بعد قيامته ، وفيها أيضا حل الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين فاطلق عليها فيما بعد كنيسة صهيون .

+ بدأ مرقس خدمته عام ٣٣ م مع الرسل بأورشليم وهرب معهم بعد استشهاد اسطفانوس ورافق بطرس الرسول في رحلته عام ٤٠ م .

+ اصطحبه بولس إلى أنطاكيه وفارقه عند برجه ثم اصطحبه برنابا معه إلى قبرص عام ٥١ م .

+ ترك مرقس جزيرة قبرص إلى إيطاليا ومنها إلى الخمس مدن الغربية .

+ أخيراً جاء إلى الاسكندرية عام ٦١ م حيث كرز باسم المسيح فآمن انيانوس خليفته على أثر معجزة حدثت له .

+ سافر إلى روما عام ٦٣ م لمساعدة بولس وغادرها بعد استشهاد بولس .

+ استشهد في مدينة الاسكندرية في ٢٦ أبريل عام ٦٨ م الأحد ٣٠ برموده .

المراجع

1 — Grammaire Copte, ALEXIS MALLON.

2 — The Saints of Egypt. O. Leary.

٣ — سنكسار ربنيه باسيه .

٤ — السنكسار المستعمل في الكنيسة .

٥ — الرهبنة القبطية .

إنتظروا قريباً !! .

١ - آباء البرية الجزء الثالث .

٢ - سيرة الشهيد العظيم مار جرجس .

يطلب من مكتبة كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك بالاسكندرية